

الاستهلاك (الوسيلة) إلى غاية، وأصبحت الأمور ملتفة تماماً . . الاستهلاك من أجل الإنتاج، والإنتاج من أجل الاستهلاك (ما الدالُّ وما المدلول في هذه الحالة؟! ) . كل هذا نجم عنه انفصال الحقائق عن القيمة، والحقيقة الكلية والتفاصيل عن المعنى، والوسائل عن الغايات، والأجزاء عن الكل . . وأخيراً الذات (الإنسانية) عن الموضوع (الطبيعي / المادي) .

٥ - ويمكن أن نسأل: ماذا حدث للإنسان في إطار الحضارة الغربية الحديثة؟ ماذا حدث لمركز الكون وسيد المخلوقات؟ مع ازدياد معدلات الترشيد المادي الإجرائي (أي إعادة صياغة الإجراءات بما يتفق والنموذج المادي، وعدم الاكتراث بالغايات)، ازداد نقل الظواهر الإنسانية من عالم الإنسان إلى عالم الأشياء، إلى أن تم نقل الإنسان بقضه وقضيضه إلى عالم الأشياء، حتى أصبح الإنسان/ الإنسان هو الإنسان/ الشيء أو الإنسان الطبيعي/ المادي، كما أصبح جزءاً لا يتجزأ من الطبيعة/ المادة، خاضعاً لقوانينها وحتمياتها، وليس له وجود خارجها. أي أنه إنسان فقد تركيبته وحرية ومقدرته على التجاوز، وأصبح دالاً دون مدلول .

٦ - يشكل مفهوم التقدم الدائم والمستمر (وإلى ما لا نهاية) في الحضارة الغربية الحديثة المدلول المتجاوز الذي يتوقف عنده لعب الدوال وتراقصها، وهو اللوجوس الذي يمنح العالم تماسكاً وغاية . ولكن هذا التقدم المادي الدائم والمستمر (وإلى ما لا نهاية)، والذي ليس له هدف إنساني محدد، هو في واقع الأمر مجرد حركة، والحركة لا بد أن تكون نحو شيء ما، فكأن التقدم دال بلا مدلول، أو دال في حالة لعب بلا نهاية!

٧ - وإذا كان الإنسان دالاً بلا مدلول، وغاية المجتمع حركة بدون غاية، فإن كل الوسائل تتحول إلى غايات ثم تختفي تماماً . فالدولة (والمؤسسات الخاصة والعامة الأخرى)، تلك الأداة التي ابتدعها الإنسان لتنظيم حياته، تصبح هي التنين الذي يتلع الفرد (وتتحقق نبوءة هوبز). والآلة التي طورها الإنسان لتقوم